بسم الله الرحمن الرحيم

(وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ)

تمهيد:

الحمدلله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أما بعد

فإن الله عز وجل لم يرسل الرسل ولم ينزل الكتب إلا لإنقاذ الناس من الشرك والعبودية لغير الله إلى توحيده سبحانه وإخلاص العبادة له. فقام أنبياء الله عز وجل ورسله بهذه المهمة خير قيام وجاهدوا أقوامهم وصبروا وصابروا حتى أتاهم نصر الله عز وجل فصار الدين والتوحيد لله عز وجل وانقشعت عن الناس ظلمات الشرك والطغيان.

وإن تحقيق التوحيد وتطهير الأرض من ألوان الشرك ليستحق كل هذه التضحيات وكل هذه الجهود المضنية التي بذلها رسل الله تعالى والدعاة من بعدهم وذلك لما في التوحيد من تحرير للعباد من العبودية للعباد إلى عبادة الله وحده ولما فيه من الثمار العظيمة في الدنيا والنعيم المقيم في الدار الآخرة، ولما في الشرك من الظلم والفساد والشقاء في دار الدنيا والخلود الدائم لأهله في نار جهنم يوم القيامة. وإن أمراً بهذه الخطورة والأهمية لجدير بأن يبين للناس حقيقته وحري بأن يكون المسلم يقظاً حذراً من الوقوع في شيء مما ينقض أو ينقص توحيده ولاسيما في واقعنا المعاصر الذي انتشرت فيه ألوان من الشرك قد تخفى على بعض الناس بل قد يقع فيها بعضهم وهم لا يشعرون وإن أمراً خافه إمام الحنفاء إبراهيم صلى الله عليه وسلم ودعى ربه سبحانه بأن يجنبه إياه لجدير بأن يخافه كل مسلم متبع ملة إبراهيم صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل عن خليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [ابراهيم35، 36]

فمن يأمن الشرك بعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام. ولما أمر الله عز وجل خليله عليه الصلاة والسلام ببناء الكعبة قال سبحانه : (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا)[الحج:26]

فهذا إمام الموحدين وخليل الرحمن عندما رأى سرعة عودة الشرك إلى حياة الناس وفتك الأصنام بهم خاف الشرك على نفسه، وخافه على بنيه من بعده – وهم أنبياء- وكذلك خافه بنوه على بنيهم من بعدهم كما في قوله تعالى: (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ

وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)[البقرة:133] وكذلك لقمان في وصيته لابنه (يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)[لقمان:13] فإذا كان هذا حال أنبياء الله وأوليائه في خوفهم من الشرك فنحن أولى وأولى ألف مرة بالخوف على أنفسنا وأبنائنا وإخواننا المسلمين من خوف خليل الرحمن على نفسه منه ومن خوفه على أبنائه ومن خوف أبنائه منه على أبنائهم عليهم الصلاة والسلام جميعاً.

وجاء وصف الشرك في القرآن في قوله سبحانه (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)[لقمان:13] وجاء هذا الوصف أيضاً في قول الرسول صلى الله عليه وسلم حينما سئُل : أي الذنب أعظم : قال صلى الله عليه وسلم (أن تجعل الله نداً وقد خلقك)[1] وفي هذا الحديث الشريف أجمع وأدق تعريف للشرك: (أن تجعل الله نداً) فمن جعل لله عز وجل نداً وشريكاً من خلقه سواء كان ذلك في النسك أو الطاعة أو المحبة والولاء فقد وقع في الشرك الأكبر وإن مآلات الوقوع في الشرك الأكبر تكمن في ثلاثة أمور خطيرة.

الأول: كونه الذنب الذي لا يغفره الله عز وجل إلا بتوبة نصوح وما سواه من الذنوب فقابل للمغفرة بمشيئة الله عز وجل قال سبحانه (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ)[النساء:48)

الثاني: كونه محبطاً لجميع الأعمال الصالحة فمهما بلغت الأعمال من كثرة وقيمة فإنها تذهب هباء منثوراً يحبطها الله عز وجل على فاعلها لوقوعه في الشرك الأكبر قال الله عز وجل مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم : (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[الزمر:65]

وقال عن أنبيائه عليهم الصلاة والسلام (ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[الأنعام :88]

الثالث: لو مات صاحبه بدون توبة فإنه يكون خالداً مخلداً في نار جهنم بينما ما دونه من الذنوب فإنها تحت المشيئة ولو دخل صاحبها النار للتطهير فإنه لا يخلد فيها

وأصل الشرك ومنشؤه هو تسوية غير الله بالله تعالى او هو تشبيه غير الله بالله تعالى في صفة من صفاته التي يختص بها فمن عبد غير الله تعالى يدعوه أو يطلب شفاعته أو يخافه أو يتخذ حكمه شرعاً له يطيعه في التحليل والتحريم أو يساويه في المحبة والولاء فهو مشرك بالله تعالى قال الله تعالى عن أهل النار المشركين وتخاصمهم فيها (تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ

[1] البخاري (4477)، مسلم (86)

مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ)[الشعراء: 97، 98] فهم لم يساووهم بالله تعالى في الخلق والرزق والتدبير وإنما ساووهم به سبحانه في المحبة والطاعة والولاء والقصد والإرادة، ولذلك ذكر أهل العلم أن الشرك بالله تعالى لا ينحصر في شرك الدعاء والقصد والنسك الذي هو الشرك السائد في المشركين من قبلنا وفي شرك القبور في زماننا وإنما يدخل تحته أنواع من الشرك خطيرة وقد لا ينتبه إليها كثير من الناس فيقعون فيها وهم لا يشعرون ومن أهم أقسام الشرك الأكبر في (توحيد الألوهية) مايلي:

1- **الشرك في القصد والإرادة والنسك**

وهو التوجه لغير الله تعالى يقصده في قضاء الحوائج ويدعوه من دون الله تعالى ويصرف له أنواعاً من النسك كالذبح والنذر والركوع والسجود وغير ذلك وهذا هو السائد عند عباد القبور والأصنام الجامدة وكثير من الناس لا يعرف من الشرك إلا هذا

2- **الشرك في الطاعة والإتباع والحكم**

وهو التوجه لغير الله تعالى بالطاعة المطلقة واتباع أمره ونهيه في تحليله وتحريمه وحكمه وتشريعه وهو الذي قال عنه سبحانه : (وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ)[الأنعام:121] وقال تعالى:(وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا)[الكهف:**26**] وقال سبحانه (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ)[التوبة:31] ولئن كانت المعبودات في النوع الأول أصناماً جامدة أو ميتة فإنها في هذا النوع أصناماً بشرية حية متمثلة في أفراد أو نظام أو برلمان يشرعون ويحللون ويحرمون من دون الله فيطيعهم ويتبعهم الناس على ذلك، وهذا النوع من الشرك هو موضوع هذه الرسالة، وذلك لإنتشاره في زماننا اليوم وقلة من يتكلم عنه ووقوع كثير من الخلق فيه لخفائه وسيأتي تفصيل كل ذلك في المباحث القادمة ان شاء الله تعالى.

3- **الشرك في المحبة والولاء**

وهو إتخاذ غير الله تعالى ولياً يحب كما يحب الله تعالى أو أشد يوالي فيه ويعادي فيه ويبذل له الولاء والطاعة كما تبذل لله تعالى أو أشد، قال سبحانه: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ)[البقرة:165] وقال سبحانه: (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)[الأنعام:15] وهذا النوع من الشرك يُعد أيضاً من أنواع الشرك الخطيرة ولاسيما في زماننا اليوم لوقوع كثير من الناس فيه لخفائه ولقلة من يحذر منه وسيأتي تفصيل ذلك في مباحث قادمة إن شاء الله تعالى . وبين النوعين الأخيرين من الشرك تلازم وتضمن فشرك المحبة والولاء

مستلزم لشرك الطاعة والإتباع وشرك الطاعة والإتباع متضمن لشرك الولاء والمحبة .

ولا تحصل النجاة للعبد في الدنيا والآخرة حتى يسلمه الله تعالى من هذه الأنواع الثلاثة من الشرك وهذا هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله. وبذلك يتحقق الإيمان بالله والكفر بالطاغوت والبراءه من الشرك وأهله قال تعالى: (فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ) [البقرة:256] وبدون ذلك يحق عذاب الله على المشركين قال سبحانه (إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ)[المائدة:72]

وكما ذكرت آنفاً فإن صلب هذه الدراسة وموضوعها الرئيس هو الحديث عن شرك الطاعة والاتباع والمحبة والولاء وما ورد في ذلك من الآيات والأحاديث والآثار وشرح ما تيسر منها ثم ربط ذلك كله بواقعنا المعاصر وما ظهر فيه وانتشر من مظاهر هذا النوع من الشرك ووقع فيه من وقع وهم لا يشعرون لجهلهم أو يشعرون ولكن غلبت عليهم أهواؤهم و تأويلاتهم الفاسدة

أهمية الحديث عن شرك الطاعة:

ويحسن قبل الدخول في ثنايا البحث ذكر الأمور التالية التي تؤكد أهمية الحديث عن هذا الشرك الخطير والكتابة فيه:

أولاً: قلة الإهتمام بهذا النوع من الشرك أعني (شرك الطاعة وشرك المحبة والولاء) فبقدر ما أخذ الحديث عن شرك النسك والإرادة والقصد وشرك القبور والأصنام الجامدة حظه من الكلام والكتابة والتحذير فإنا لا نجد مثل هذا الإهتمام بهذا النوع من الشرك والتحذير منه. ونتيجة لذلك صار شرك الطاعة والاتباع أخفى من بعض المعاصي الأخرى، ولخفاء معناه وحقيقته عند بعض الناس نجد من يقع فيه وربما دون أن يشعر بل قد نجد من يؤصل لهذا النوع من الشرك تحت مسميات من عقائد الإسلام .

ثانيا: ظهور مظاهر كثيرة من هذا الشرك في واقعنا المعاصر أكثر من أي وقت مضى وذلك بعد بروز الطواغيت التي تحكم في أكثر بلدان المسلمين تشرع لهم من دون الله فكانت بمثابة أصنام بشرية حية تكلم الناس وتأمرهم وتنهاهم وتحل لهم وتحرم عليهم وتعطيهم وتمنعهم وتعدهم وتمنيهم وترهبهم وترغبهم وتكافئهم وتعاقبهم. وصاحب ذلك حملات إعلامية تمجد هذه الأصنام البشرية وتقدسها وتدعوا الناس إلى طاعتها والإنقياد لأوامرها بإطلاق. وكما أن شرك الأصنام الجامدة والأموات مرتبط به توجيه الإرادة والقصد والأنساك إلى هذه الأصنام فإن شرك الطاعة والإتباع والحب والولاء مرتبط بهذه الأصنام الحية البشرية أي أن الشرك في الطاعة والمحبة والولاء نوع أصيل من عبودية البشر للبشر لاسيما في مسائل

التشريع والتحاكم .

ثالثاً: كون مصطلح (الطاعة والإتباع) من المصطلحات التي اعتراها التلاعب والتلبيس كما اعترى غيرها من المصطلحات الشرعية الأخرى حيث أصبحنا نسمع من يسوغ الطاعة والإتباع والولاء للطواغيت من دون الله عز وجل باسم الدين وتحريف النصوص الشرعية بجهل أو هوى فأصبحنا نرى من يرفع شعاراتهما من بعض المنتسبين إلى العلم تحت مسمى التوحيد ومنهج السلف الصالح واستغل ذلك في ابتزاز العواطف وتخدير الناس وأن ذلك قربة إلى الله عز وجل، بل وجعلا (فزاعة) يخوف بها الناس من العقوبة الإلهية عند مخالفة هذه الأصنام البشرية ولو في معصية الله تعالى

رابعاً: تفشي هذا النوع من الشرك في الأمة كما ذكرت سابقاً بدرجة غير مسبوقة مما أدى إلى سهولة تسلله إلى القلوب وسهولة العدوى بها عبر السلوك الجمعي والمحاكاة حتى تسلل إلى بعض قلوب ممن كانوا ينسبون إلى العلم، ولا سيما في ظل الأحداث المشاهدة محلياً واقليمياً وعالمياً

خامساً: لأن تحقيق التوحيد في الطاعة والإتباع والمحبة والولاء يجعل المسلم عصياً على التطويع لغير الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم كما يجعله عصياً على اتباع غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أُنزل عليه

سادساً : إن بيان هذا النوع من الشرك للناس وعلمهم به يحصن الأمة ضد شرك الطاعة والولاء الذي هو صمام الأمان لمنع ظهور الطواغيت والأصنام البشرية الحية التي تريد استعباد الناس وطاعاتهم لهم من دون الله عز وجل.

كما أن إدراك الأمة لهذا النوع من الشرك يجعلها عصية على عمليات غسيل الأدمغة وبرامج الإستحواذ على الأفكار التي تؤدي إلى سلب العقول وإضلال القلوب

سابعاً:في غياب العلم بهذا الشرك تسود الذلة والضعف والمسكنة وتغيب الأهداف وتختفي قوة المسلم وشخصيته المتزنة وعزته وكرامته وحريته وهذا ما يريده الطواغيت والأصنام البشرية الحية من الناس ولذا يحرص الطواغيت المطاعون على تغييب هذا النوع من الشرك من مناهج التعليم ومن المؤلفات والكتب والرسائل العلمية ودروس العلماء وخطب الجمعة والإعلام وذلك لتغييبه عن حس الأمة وهذا يفرز امعات مسلوبة الإرادة والهمة والطموح والتفكير، ومن هنا تأتي أهمية بيان هذا النوع من الشرك وتحذير الناس منه .

ثامناً: ومن خطورة هذا الشرك سريان دخانه وغباره إلى بعض المنتسبين للعلم من مقلدة الفقهاء الذين يتعصبون لأقوال أئمتهم ويقدمونها على نصوص الكتاب والسنة، بل لم يسلم من غباره بعض المتعصبين والحزبيين المنتمين لبعض

الجماعات الإسلامية الذين يقدمون أقوال قياداتهم ومسؤليهم على نصوص الوحيين ويجعلون أنفسهم إمعات لغيرهم ويزعجهم أن يقال عن شيخه أو مسئوله أنه أخطأ أو غلط

المبحث الأول

شرح معنى شرك الطاعة والإتباع

شرك الطاعة مستلزم لشرك الإتباع فكل أحكام شرك الطاعة يسري على حالات شرك الاتباع وعامل المحبة مشترك بينهما

والطاعة في اللغة: الإنقياد والموافقة أو الامتثال للآمر .

وهو يتعدى بنفسه فيقال :(أطاعه إطاعة) ويتعدى بالحرف فيقال (طاع له)

جاء في (لسان العرب) فصل : الطاء المهملة:

(طوع : الطَّوْعُ نَقِيضُ الكَرْهِ طاعَه يَطُوعُه وطاوَعَه والاسم الطَّواعةُ والطَّواعِيةُ ورجل طَيِّعٌ أَي طائِعٌ ورجل طائِعٌ وطاعٍ مقلوب كلاهما مُطِيعٌ كقولهم عاقَني عائِقٌ وعاقٍ)[1]

وقال الأزهري : (من العرب من يقول طاع له يَطُوع طَوْعا فهو طائع بمعنى أطاع أيضاً، وطاع يطاع لغة جيّدة. قال ابن سيده وطاع يطاع وأطاع لان وانقاد، وأطاعه وانطاع له كذلك وقد طاع له يطوع إذا انقاد له بغير ألف، وطاع له إذا انقاد له فإذا مضى لأمره فقد أطاعه، فإذا وافقه فقد طاوعه.. وفي الحديث فإن هم طاعوا لك بذلك)[2]

وفي القاموس المحيط: فصل الطاء: (طاع له يَطُوعُ ويَطاعُ : انْقادَ (كانْطاعَ) و له المَرْتَعُ : أَمْكَنَهُ كأَطاعَه . وهو طَوْعُ يَدَيْكَ : مُنْقادٌ لكَ . وفرسٌ طَوْعُ العِنانِ : سَلِسٌ . والمِطْواعُ : المطيعُ . والطاعُ : الطائِعُ كالطَّيِّعِ ككَيِّسٍ ج : طُوَّعٌ كرُكَّعٍ) والطَّواعِيَةُ : الطاعةُ . والشُّحُّ المطاعُ : هو أن يُطِيعَهُ صاحِبُه في مَنْعِ الحُقوقِ . وأطاعَ الشجرُ : أدْرَكَ ثَمَرُهُ وأمْكَنَ أن يُجْتَنَى)[3]

---

1 لسان العرب 240/8

2 تهذيب اللغة 341/1، 342

3 القاموس المحيط 744/1

ومن هذه المعاني اللغوية نستطيع القول بأن (الطاعة) تتعلق بآمر له القدرة المادية والمعنوية على الأمر والنهي أي أن الطاعة مرتبطة بمخلوق آمر له سلطان يمكنه من الأمر والنهي المقترنين بالترغيب والترهيب، أو المنفعة والأذى، أو الفائدة والضرر، أو المنع والعطاء أو كلها مجمعة

وعلى هذا تكون معنى (الطاعة) هي تنفيذ أمر الآمر (بالفعل أو الترك)محبة أو ذلاً أو رغبة أو رهبة أو إكراهاً أو رضى أو ذلك كله بينما الإتباع لا يكون فيه إجبار وإكراه

والطاعة بالمفهوم الشرعي هي نوع من (العبادة) تتعلق بالإستجابة لأمر الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم (فعلاً أو تركاً)، وطاعة من أمر بطاعته في المعروف، والطاعة بمعنى (العبادة) هي المقصودة في هذا البحث.

وتوحيد الطاعة هو إفراد الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم بالطاعة وجعل طاعة ما سواهما تبعاً لطاعتهما.

وفي هذا يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)[النساء:59] فأمر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله وأعاد الفعل إعلاماً بأن طاعة الرسول تجب استقلالا من غير عرض ما أمر به على الكتاب بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقاً سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه فإنه أوتي الكتاب ومثله معه. ولم يأمر بطاعة أولي الأمر استقلالاً بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول إيذاناً بأنهم إنما يطاعون تبعاً لطاعة الرسول فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته ومن أمر بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع له ولا طاعة كما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)[1] وقال (إنما الطاعة في المعروف)[2] وقال في ولاة الأمور (من أمركم منهم بمعصية الله فلا سمع له ولا طاعة)[3][4]

وهي واجبة وجوباً عينياً على كل مكلف . يقول الله عز وجل : (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ)[آل عمران:32] (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)[آل عمران:132] (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ)[النساء:64] (مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا)[النساء:80] (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ)[محمد:33] (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)[الأنفال:1] (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ)[الأنفال:20]

---

1 رواه أحمد (20653) وصححه الألباني في المشكاة(3696)

2 البخاري(7257)، مسلم(1840)

3 أحمد (11639) وحسنه الألباني في صحيح بن ماجه (2312)

4 اعلام الموقعين38/1، 39

مما سبق بيانه من التعريفات يمكن تعريف(**شرك الطاعة والاتباع**)بأنه:

مساواة غير الله بالله تعالى في التشريع والحكم والطاعة والانقياد فكل من أطاع مخلوقاً في تحريم الحلال أو تحليل الحرام عالماً بذلك فقد وقع في شرك الطاعة والاتباع

الشرك في الطاعة والاتباع هو نوع من انواع الشرك في العبادة

كثير مايرد في القرآن ذكر عبادة غير الله عز وجل ويراد به الطاعة والإتباع وكثير ما يرد ذكر الشرك بالله عز وجل ويراد به شرك الطاعة والاتباع، ويوضح الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى هذه المسألة أتم توضيح سارداً الأدلة على ذلك . يقول رحمه الله تعالى

(ثم قال تعالى وهو الشاهد-(وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ)[الأنعام:121] أي إن اتبعتموهم في ذلك النظام الذي وضعه الشيطان لأتباعه وأقام دليلاً من وحيه عليه(**إنكم لمشركون**) بالله، متخذون من اتبعتم تشريعه رباً غير الله

وهذا الشرك في قوله (**إنكم لمشركون**) وهو الشرك الأكبر المخرج عن ملة الإسلام بإجماع المسلمين

وهو الذي أشار الله إليه في قوله (إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ)[النحل:100] وهو الذي صرح به الشيطان في خطبته يوم القيامة المذكورة في قوله: (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ) إلى قوله :(إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ)[ابراهيم: 22] وهو المراد على أصح التفسيرين في قوله :(بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ)[سبأ:41] يعبدون الشياطين باتباعهم أنظمتهم وتشريعاتهم على ألسنة الكفار

وهو الذي نهى عنه إبراهيم أباه(يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ)[مريم:44] أي: باتباع ما يقرر لك من نظام الكفر والمعاصي مخالفاً لشرع الله الذي أنزله على رسله

وهذه العبادة بعينها هي التي وبخ الله مرتكبها وبين مصيره الأخير في سورة يس في قوله : (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)[يس:60] ما عبدوه بسجود ولا ركوع وإنما عبدوه باتباع نظام وتشريع وقانون شرع لهم أموراً غير ما شرعه الله فاتبعوه وتركوا ما شرع الله فعبدوه بذلك واتخذوه رباً كما بينه النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم رضي الله عنه فهذا أمر لا شك فيه وهو المراد بقوله : (وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا)[النساء:117] يعني : مايعبدون إلا شيطاناً مريداً أي : عبادة اتباع نظام وتشريع)[1]

مسـألة:

[1] العذب المنير من مجالس الشنقيطي في التفسير 442/3، 443 جمع وتحقيق خالد السبت

ومع أن طاعة غير الله تعالى واتباعه في ما لم يشرعه الله عز وجل نوع من أنواع الشرك الناقض للتوحيد إلا أن بينه وبين شرك النسك وأعمال التأله فرق في حكم مرتكبها فبينما يكون الشرك في أي عمل من أعمال التأله مثل الصلاة والصوم والحج والذبح والنذر والدعاء وما شابهها من العبادات شركاً أكبر يخرج من الملة ولا يشترط فيه الاستحلال إلا أن الأنواع الأخرى من أعمال الطاعة والاتباع فيها تفصيل فمنها ما هو شرك أكبر كمن يعتقد الطاعة المطلقة لمخلوق غير الرسول صلى الله عليه وسلم أو يطيعه في تشريع ما لم يأذن به الله تعالى عالماً مختاراً ومنها ما يكون معصية إذا كانت الطاعة عن شهوة وهوى لا عن استحلال. بل إن من أعمال الطاعة والاتباع ماهو مشروع في حق البشر كطاعة الوالدين وطاعة الزوج وطاعة الإمام الشرعي في غير معصية الله.

المبحث الثاني

ذكر الآيات الواردة في بيان شرك الطاعة والاتباع والتحذير منه

- **الآية الأولى**: قوله تعالى: (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ)[الأنعام:121]

قال ابن كثير رحمه الله في هذه الآية : وقوله تعالى: (**وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**) أي حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره فقدمتم عليه غيره فهذا هو الشرك)[1]

- وقال الشنقيطي رحمه الله (ويفهم من هذه الآيات بوضوح لا لبس فيه أن من اتبع تشريع الشيطان مؤثرا له على ماجاءت به الرسل، فهو كافر بالله، عابد للشيطان، متخذ الشيطان ربا، وإن سمى اتباعه للشيطان بما شاء من الأسماء ؛ لأن الحقائق لا تتغير بإطلاق الألفاظ عليها كما هو معلوم)[2]
- وقال رحمه الله (فهي فتوى سماويه من الخالق –جل وعلا- صرح فيها بأن متبع تشريع الشيطان المخالف لشرع الرحمن مشرك بالله)[3]
- وقال رحمه الله (فهو قسم من الله جل وعلا أقسم به على أن من اتبع الشيطان في تحليل الميتة أنه مشرك وهذا الشرك مخرج عن الملة بإجماع المسلمين)[4]
- وقال رحمه الله (فصرح بأنهم مشركون بطاعتهم، وهذا الإشراك في الطاعة، واتباع التشريع المخالف لما شرعه الله تعالى هو المراد بعبادة الشيطان في قوله تعالى: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (60) وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ)[5][يس : 61، 62]
- وقال القاسمي رحمه الله :(قال الزجاج : في قوله تعالى: (وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) دليل على أن كل من أحل شيئا مما حرم الله تعالى، أو حرم شيئا مما أحل الله تعالى فهو مشرك. وإنما سمي مشركا لأنه أثبت حاكما سوى الله تعالى وهذا هو الشرك .. انتهى)[6]

---

1 تفسير ابن كثير 324/3 ت. سامي سلامه
2 أضواء البيان 307/1
3 أضواء البيان 54/7
4 أضواء البيان 41/3
5 أضواء البيان 259/3
6 محاسن التأويل 483/4

- **الآيةالثانية:** قوله تعالى :(وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ)[الأنعام:137] يقول الشيخ محمد رشيد رضا عند هذه الآية:

(هذا حكم آخر مما كانوا عليه من أعمال الشرك التي لا يستحسنها عقل، ولم تستند إلى شرع إلهي قويم، أي ومثل ذلك التزيين لقسمة القرابين من الحرث والأنعام بين الله تعالى وبين آلهتهم زين لكثير من المشركين شركاؤهم قتل أولادهم. فأما الشركاء هنا فقيل : هم سدنة الآلهة وخدمها وقيل : بل هم الشياطين الذين يوسوسون لهم ما يزين ذلك في أنفسهم، وإنما سمي كل منهما شريكاً لأنه يُطاع ويدان له فيما لا يطاع به إلا الله تعالى)[1]

ويقول سيد قطب رحمه الله تعالى عند هذه الآية:

(يقول : وكما زين الشركاء والشياطين لهم ذلك التصرف في أموالهم كذلك زينوا لهم قتل أولادهم . . وذلك ما كانوا يفعلونه من وأد البنات خشية الإملاق – أو خشية السبي والعار – ومن قتل بعض الأبناء في النذر للآلهة كالذي روي عن عبد المطلب من نذره ذبح أحد ولده ، إن رزقه الله بعشرة منهم يحمونه ويمنعونه ! وظاهر أن هذا وذاك كان يوحي به عرف الجاهلية . العرف الذي وضعه الناس للناس . والشركاء المذكورون هنا هم شياطين الإنس والجن . . من الكهنة والسدنة والرؤساء من الإنس ، ومن القرناء الموسوسين من الجن ، بالتعاون والموالاة فيما بينهم

والنص يصرح بالهدف الكامن وراء التزيين : **(ليردوهم ، وليلبسوا عليهم دينهم)** ليهلكوهم وليجعلوا دينهم عليهم ملتبسا غامضا لا يقفون منه على تصور واضح . . فأما الهلاك فيتمثل ابتداء في قتلهم لأولادهم ; ويتمثل أخيرا في فساد الحياة الاجتماعية بجملتها ، وصيرورة الناس ماشية ضالة يوجهها رعاتها المفسدون حيثما شاءوا ، وفق أهوائهم ومصالحهم ! حتى ليتحكمون في أنفسهم وأولادهم وأموالهم بالقتل والهلاك ، فلا تجد هذه الغنم الضالة لها مفرا من الخضوع . لأن التصورات المتلبسة بالدين والعقيدة – وما هي منها – بكل ثقلها وعمقها ، تتعاون مع العرف الاجتماعي المنبثق منها ، وتنشئ ثقلا ساحقا لا تقف له جماهير الناس . ما لم تعتصم منه بدين واضح ; وما لم ترجع في أمرها كله إلى ميزان ثابت .

وهذه التصورات المبهمة الغامضة ; وهذا العرف الاجتماعي الذي ينبثق منها ، ويضغط على جمهرة الناس بثقله

[1] تفسير المنار 108/8

الساحق . . لا ينحصر في تلك الصور التي عرفتها الجاهليات القديمة . فنحن نشهده اليوم بصورة أوضح في الجاهليات الحديثة . . هذه العادات والتقاليد التي تكلف الناس العنت الشديد في حياتهم ، ثم لا يجدون لأنفسهم منها مفرا . . هذه الأزياء والمراسم التي تفرض نفسها على الناس فرضا ، وتكلفهم أحيانا ما لا يطيقون من النفقة ، وتأكل حياتهم واهتماماتهم ، ثم تفسد أخلاقهم وحياتهم . ومع ذلك لا يملكون إلا الخضوع لها . . أزياء الصباح ، وأزياء بعد الظهر ، وأزياء المساء . . الأزياء القصيرة ، والأزياء الضيقة ، والأزياء المضحكة ! وأنواع الزينة والتجميل والتصفيف . . . إلى آخر هذا الاسترقاق المذل . . من الذي يصنعه ومن الذي يقف وراءه؟ تقف وراءه بيوت الأزياء . وتقف وراءه شركات الإنتاج ! ويقف وراءه المرابون في بيوت المال والبنوك من الذين يعطون أموالهم للصناعات ليأخذوا هم حصيلة كدها ! ويقف وراءه اليهود الذين يعملون لتدمير البشرية كلها ليحكموها ! . . ولكنهم لا يقفون بالسلاح الظاهر والجند المكشوف ، إنما يقفون بالتصورات والقيم التي ينشئونها ، ويؤصلونها بنظريات وثقافات ويطلقونها تضغط على الناس في صورة (عرف اجتماعي) . فهم يعلمون أن النظريات وحدها لا تكفي ما لم تتمثل في أنظمة حكم ، وأوضاع مجتمع ، وفي عرف اجتماعي غامض لا يناقشه الناس ، لأنه ملتبس عليهم متشابكة جذوره وفروعه !

إنه فعل الشياطين . . شياطين الإنس والجن . . وإنها الجاهلية تختلف أشكالها وصورها ، وتتحد جذورها ومنابعها ، وتتماثل قوائمها وقواعدها . .   وإننا لنبخس القرآن قدره ، إذا نحن قرأناه وفهمناه على أنه حديث عن جاهليات كانت ! إنما هو حديث عن شتى الجاهليات في كل أعصار الحياة . ومواجهة للواقع المنحرف دائما ورده إلى صراط الله المستقيم .)[1]

الآية الثالثة: قوله تعالى: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)[التوبة: 31]

يقول الشنقيطي رحمه الله تعالى عند هذه الآية:

(هذه الآية جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فسرها لعدي بن حاتم رضي الله عنه لما سأله عنها، فقد أخرج الترمذي وغيره عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقه صليب من ذهب، فقال له صلى الله عليه وسلم :"اطرح هذا الوثن من عنقك" وسمعه يقرأ (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ)

1 في ظلال القرآن 3/ 1219

وكان عدي في الجاهلية نصرانياً – فقال عدي : ما كنا نعبدهم من دون الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (ألم يُحلوا لكم ما حرم الله، ويحرموا عليكم ما أحل الله فتتبعوهم؟) قال: بلى. قال " ذلك عبادتهم)[1] وهو معنى اتخاذهم أرباباً. وهذا التفسير النبوي المقتضي أن كل من يتبع مشرعاً فيما أحل وحرم مخالفاً لتشريع الله أنه عابد له، متخذه رباً، مشرك به، كافر بالله هو تفسير صحيح لا شك في صحته، والآيات القرآنية الشاهدة لصحته لا تكاد تحصيها في المصحف الكريم، وسنبين- إن شاء الله- طرفاً من ذلك:

إعلموا أيها الإخوان أن الإشراك بالله في حكمه والإشراك به في عبادته كلاهما بمعنى واحد، لا فرق بينهما البتة، فالذي يتبع نظاماً غير نظام الله، وتشريعاً غير ما شرعه الله، وقانوناً مخالفاً لشرع الله من وضع البشر، معرضاً عن نور السماء الذي أنزل الله على لسان رسوله، من كان يفعل هذا هو ومن يعبد الصنم ويسجد للوثن لا فرق بينهما البتة بوجه من الوجوه، فهما واحد، فكلاهما مشرك بالله، هذا أشرك به في عبادته، وهذا أشرك به في حكمه، والإشراك به في عبادته، والإشراك به في حكمه كلاهما سواء، وقد قال الله جل وعلا في الإشراك به في عبادته : (فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)[الكهف :110]

وقال في الإشراك به في حكمه أيضاً : (لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا)[الكهف:26] وفي قراءة ابن عامر من السبعة: (ولا تشرك في حكمه أحدا) بصيغة النهي المطابقة لقوله: (وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)[الكهف:110] فكلاهما إشراك بالله، ولذا بين النبي لعدي بن حاتم أنهم لما اتبعوا نظامهم في التحليل والتحريم وشرعهم المخالف لشرع الله كانوا عبدة لهم، متخذيهم أرباباً، والآيات القرآنية في المصحف الكريم المصرحة بهذا المعنى لاتكاد تحصيها، ومن أصرحها: المناظرة التي أشرنا لها في الأيام الماضية، ووعدنا بإيضاح مبحثها هنا، وهي المناظرة التي وقعت بين حزب الرحمن وحزب الشيطان في حكم تحليل لحم الميتة وتحريمه، فحزب الشيطان يقولون: إن الميتة حلال، ويستدلون بوحي من وحي الشيطان، وهو أن الشيطان أوحى إلى أصحابه وتلامذته في مكة أن اسألوا محمداً عن الشاة تصبح ميتة من هو الذي قتلها؟ فلما قال : الله قتلها. احتجوا على النبي وأصحابه في تحريم الميتة بفلسفة من وحي الشيطان وقالوا: ما ذبحتموه وذكيتموه بأيديكم حلال، وما ذبحه الله بيده الكريمة بسكين من ذهب تقولون حرام!! فأنتم أحسن من الله إذا!! فهذا فلسفة الشيطان ووحي إبليس استدل بها كفار مكة على اتباع نظام الشيطان وتشريعه وقانونه بدعوى أن ماذبحه الله أحل مما ذبحه

---

[1] السنن الكبرى للبيهقي (20847) والترمذي (3095) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (3293)

الناس، وأن تذكية الله أطهر من تذكية الخلق، واستدل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على تحريم الميتة بوحي الرحمن في قوله تعالى: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ)[المائدة:3] (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ)البقرة:173] فأدلى هؤلاء بنص من نصوص السماء وأدلى هؤلاء بفلسفة من وحي الشيطان ووقع بينهم جدال وخصام، فتولى رب السماوات والأرض الفتيا في ذلك بنفسه فأنزل قرآناً يتلى في سورة الأنعام معلماً بها خلقه ، أن كل من يتبع نظاماً وتشريعاً وقانوناً مخالفاً لما شرعه الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مشرك بالله كافر متخذ ذلك المتبوع رباً، فانزل الله ذلك في قوله: (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ) منه الميتة أي : وإن قالوا : إنها ذكاة الله ، وأنها أطهر ثم قال (وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ) أي: إن الأكل من الميتة لفسق أي : لخروج عن طاعة الرحمن إلى طاعة الشيطان (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ) من الكفرة ككفار مكة (لِيُجَادِلُوكُمْ) لأجل أن يجادلوكم بوحي الشيطان، ماذبحتموه حلال، وما ذبحه الله حرام، فأنتم أحسن من الله ثم قال – وهو محل الشاهد-: (وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ) أي :إن اتبعتموهم في ذلك النظام الذي وضعه الشيطان لأتباعه وأقام دليلاً من وحيه عليه: (إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) بالله متخذون من أتبعتم تشريعه ربا غير الله. وهذا الشرك في قوله (إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) هو الشرك الأكبر المخرج عن ملة الإسلام بإجماع المسلمين ...

إن كل من تحاكم إلى غير ما أنزل الله فهو متحاكم إلى الطاغوت، وهؤلاء قوم أرادوا التحاكم إلى الطاغوت وزعموا أنهم مؤمنون بالله فعجب الله نبيه من كذب هؤلاء وعدم حيائهم في قوله: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ) يعجبه منهم (يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ) الذي شرع لهم تلك النظم والأوضاع التي يسيرون عليها (وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا)[النساء:60] وأقسم الله (جل وعلا) إقساماً سماوياً من رب العالمين على أنه لا إيمان لمن لم يحكم رسول الله فيما جاء به عن الله خالصاً من قلبه في باطنه وسره في قوله: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)[النساء:65]

وبين الله جل وعلا في آيات كثيرة من كتابه أن الحكم له وحده لا شريك له في حكمه، وكلما ذكر اختصاصه بالحكم أوضح العلامات التي يعرف بها من يستحق أن يحكم ويأمر وينهى ويشرع ويحلل ويحرم، وبين من ليس له شيء من ذلك، قال تعالى: (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ)[يوسف:40] (لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ الْحُكْمُ)[القصص:70]

وسنبين لكم أمثلة من ذلك، من ذلك قوله في سورة الشورى: (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ)[الشورى:10] ثم إن الله كأنه قا ل : هذا الذي يكون المرجع إليه والقول قوله والكلمة كلمته، حتى يرد إليه كل شيء اختلف فيه ما صفاته التي يتميز بها عن غيره؟ قال : (وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ) ثم بين صفات من يستحق الحكم والتشريع والتحليل والتحريم والأمر والنهي فقال : (ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[الشورى 10-12] هذه صفات من له أن يحكم ويحلل ويحرم ويأمر وينهى، أفترون أيها الإخوان أن واحداً من هؤلاء القردة الخنازير والكلاب أبناء الكلاب الذين يضعون القوانين الوضعية فيهم واحد يستحق هذه الصفات التي هي صفات من له أن يحكم ويحلل ويحرم ويأمر وينهى؟!!

ومن الآيات الدالة على هذا النوع قوله تعالى في سورة القصص : (وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) ثم بين صفات من له أن يحكم فقال : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[القصص:70-73] هل في الكفرة القردة الخنازير الكلاب أبناء الكلاب الذين يضعون النظم ويزعمون أنهم يرتبون بها علاقات الإنسان ويضبطون بها شؤونه هل في هؤلاء من يستحق أن يوصف بهذه الصفات التي هي صفات من له أن يحكم ويأمر وينهى ويحلل ويحرم؟!

ومن ذلك قوله تعالى في أخريات القصص: (وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۘ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[القصص:88]

والآيات القرآنية في مثل هذا كثيرة جداً. والحاصل أن التشريع لا يكون إلا للأعلى الذي لا يمكن أن يكون فوقه آمر ولا ناه ولا متصرف، فهو للسلطة العليا، أما المخلوق الجاهل الكافر المسكين فليس له أن يحلل ويحرم. والعجب كل العجب من قوم كان عندهم كتاب الله ورثوا الإسلام عن آبائهم، وعندهم هذا القرآن العظيم، والنور المبين، وسنة خير الخلق صلى الله عليه وسلم ، يبين الله ورسوله كل شيء ومع ذلك يعرضون عن هذا زاعمين أنه لا يحسن

القيام بشؤون الدنيا بعد تطوراتها الراهنة، يطلبون الصواب في زبالات أذهان كفرة خنازير ، لا يعلمون شيئاً !! ولكن الخفافيش يعميها نور القرآن العظيم، فالقرآن العظيم نور عظيم، والخفاش لا يكاد أن يرى النور:

خفافيش أعماها النهار بضوئه فوافقها قطع من الليل مظلمُ

فهذا القرآن العظيم ينصرفون عنه، وترى الواحد الذي هو مسؤول عنهم يعلن في غير حياء من الله ولا حياء من الناس بوجه لا ماء فيه، بكل وقاحة أنه يحكم في نفسه وفي الناس الذين هم رعيته الذين هو مسؤول عنهم يحكم في أديانهم، وفي أنفسهم وفي عقولهم، وفي أنسابهم وفي أموالهم وفي أعراضهم، قانوناً أرضياً وضعه خنازير كفرة جهلة أنتن من الكلاب والخنازير، وأجهل خلق الله، معرضاً عن نور السماء الذي وضعه الله (جل وعلا) على لسان خلقه، فهذا من طمس البصائر لا يصدق به إلا من رآه – والعياذ بالله – اللهم لا تطمس بصائرنا ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا.

واعلموا أيها الإخوان أن كل من يتعالم أمام الخالق (جل وعلا) بلا حياء في وجهه أنه يعرض عما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم مدعياً أنه لا يقدر أن يقوم بتنظيم علاقات الدنيا يطلب النور والهدى في زبالات أذهان خنازير كفرة فجرة جهلة في غاية الجهل أنه هو وفرعون وهامان وقارون في الكفر سواء؛ لأنه لا يعرض عن الله، وعن تشريع الله، ويفضل عليه تشريع الشيطان ونظام إبليس الذي شرعه على ألسنة أوليائه إلا من لا نصيب له في الإيمان بوجه من الوجوه، كما رأيتم الآيات الكثيرة الدالة على ذلك، وتعجيب الله نبيه من ادعاء مثله الإيمان . فعلى المسلمين جميعاً أن يعلموا ويعتقدوا – ونحن نقول : لا شك يجب على كل مسلم كائناً من كان أن يعلم – أنه لا حلال إلا ما أحله الله، ولا حرام إلا ما حرمه الله، ولا دين إلا ما شرعه الله، فمن سوى الله لا تحليل له ولا تحريم؛ لأنه عبد مسكين ضعيف مربوب، عليه أن يعمل بما يأمر به ربه، فيتبع ما يشرعه ربه)[1]

وجاء في تفسير الطبري عن حذيفة ابن اليمان وابن عباس رضي الله عنهما قولهم في تفسير آية التوبة : (أنهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا)[2]

الآية الرابعة: قوله تعالى (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)[يس:60]

---

[1] العذب المنير من مجالس الشنقيطي في التفسير 3/441-447 باختصار
[2] تفسير الطبري 212/14

يقول ابن كثير رحمه الله تعالى : هذا تقريع من الله للكفرة من بني آدم الذين أطاعوا الشيطان وهو عدو مبين ، وعصوا الرحمن وهو الذي خلقهم ورزقهم ولهذا قال (وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ) أي قد أمرتكم في دار الدنيا بعصيان الشيطان وأمرتكم بعبادتي وهذا هو الصراط المستقيم فسلكتم غير ذلك واتبعتم الشيطان فيما أمركم به)[1] والشاهد من هذه الآية تسمية طاعة الشيطان بكونها عبادة له وان لم يسجدوا ويركعوا وينذروا له . وأمثال هذه الآية التي تفسر عبادة الشيطان بأنها طاعتة كثيرة في القرآن

الآية الخامسة: قوله تعالى : (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ)[الشورى : 21]

يقول ابن كثير رحمه الله تعالى عن هذه الآية: (أي : هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس من تحريم ماحرموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، وتحليل الميتة والقمار إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم من التحليل والتحريم والعبادات الباطلة والأقوال الفاسدة)[2]

الآية السادسة: قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ)[محمد:25، 26]

والآيات في ذكر شرك الطاعة والاتباع كثيرة جدا . وقد ذكر جانباً منها الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى في تفسير آية التوبة (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا...الآية) الذي سبق ذكره في الصفحات السابقة فليرجع إليه

1 عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير تحقيق شاكر 131/3
2 نفس المصدر 253/3

مسألة : في ارتباط شرك الطاعة والاتباع بشرك المحبة والولاء

هناك ارتباط وثيق وتلازم شديد بين شرك الطاعة والاتباع وبين شرك المحبة والولاء حيث أن عامل المحبة عامل مشترك بين الطاعة والولاء لأن المحبة والولاء يستلزمان الطاعة والاتباع 0 قال الله عز وجل (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [آل عمران:31] وبالنظر إلى قوله تعالى : (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) [المائدة : 50] نجد الآية التي تليها مباشرة قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[المائدة51] وفي هذا إشارة إلى أن الحكم بحكم الجاهلية مما عند اليهود والنصارى من تشريعات باطلة ومحرفة أومنسوخة هو ضرب من ضروب الولاء والمحبة لهم التي يرتد بها صاحبها عن دين الإسلام ولذلك ذكر الله عز وجل بعدها قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ... الآية)[المائدة:54]

ومن الآيات في كتاب الله عز وجل التي يظهر فيها التلازم بين المحبة وبين الطاعة والاتباع قوله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ)[البقرة:165 – 167]

ومن أخطر الأصنام المعاصرة التي تعبد اليوم من دون الله تعالى حباً وولاءً وطاعة صنم الوطنية والقومية وذلك بعقد الولاء والحب والطاعة عليها وليس على توحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة. والمناداة بالقومية والوطنية أو الانسانية واتخاذ ذلك ذريعة لإقامة وطن لا تحكم فيه شريعة الله ولا تتبع هو في الحقيقة جعل لهذه الرايات أرباباً تعبد من دون الله طاعة ومحبة وولاء سواء من يرفع هذه الراية أو يرضى بها لأن الأول يصدر باسمها تشريعات تحلل وتحرم ما لم يأذن به الله عز وجل. والرضى بها يتلقى منها ويطيعها معرضاً عن طاعة الله تعالى والتلقي عن رسوله صلى الله عليه وسلم وبذلك يظهر الارتباط بين شركي الطاعة والاتباع وشرك المحبة والولاء وان أحدهما مستلزم للآخر . ولذلك فإن أي شرك في أحدهما مستلزم الشرك في الآخر .

مسألة : متى تكون الطاعة المبذولة لمخلوق شركاً مخرجاً من الملة

والجواب قد قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وذلك عند قوله تعالى(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ) حيث قال (وهؤلاءالذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً- حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله – يكونون على وجهين:

أحدهما : أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعاً لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر وقد جعله الله ورسوله شركاً وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركاً مثل هؤلاء

الثاني : أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحليل الحلال وتحريم الحرام ثابتاً لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب)[1] " اهـ كلامه.

وعن هؤلاء الذين أطاعوا كبراءهم في تبديل الدين يقول الله عز وجل واصفاً حسرتهم يوم القيامة : (يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا)[الأحزاب 66، 67]

وخلاصة القول في ضابط شرك الطاعة والاتباع أن يقال :

المشرك في الطاعة هو كل من أطاع مخلوقاً في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله عز وجل عالماً بذلك وكل من أطاع مخلوقاً في ارتكاب ما هو معلوم من الدين ضرورة أنه شرك أكبر ولو لم يستحل ذلك حيث أن مجرد الوقوع في الشرك الأكبر طاعة لمخلوق واتباعاً له هو في ذاته شرك ولو لم يستحل بخلاف الطاعة في مادون الشرك فلابد أن يكون المطيع مستحلاً لما استحله متبوعه ومطاعه أما لو أطاعه غير مستحل لما يفعله وانما عن هوى وشهوة فهو من جنس الذنوب والمعاصي التي يأثم صاحبها. ففعل المعصية لا يكفر مرتكبها إلا اذا استحلها بينما الشرك الأكبر يكفر مرتكبه ولو لم يستحله.

---

[1] مجموع الفتاوى 66/7، 67

المبحث الثالث

ذكر بعض الصور من شرك الطاعة والمحبة والولاء في واقعنا المعاصر

انطلاقاً من تقرير شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى الوارد ذكره في المسألة السابقة : متى تكون الطاعة لمخلوق شركاً أكبر ومتى لاتكون. يمكن في هذا المبحث ذكر بعض الصور المعاصرة لشرك الطاعة المخرج من الملة ووقوع بعض الناس فيها من حيث يشعرون أو من حيث لا يشعرون

تنبيه مهم:

لا يعني ذكر هذه الصور الحكم على مرتكبها بعينه بالكفر والشرك الأكبر لأن ذلك يتطلب معرفة مدى توفر شروط التكفير وانتفاء موانعه في حق المعين وإنما المقصود بيان أن الأمر جد خطير وذلك لعلاقته بالإيمان أو الكفر وبالتوحيد والشرك فحري بالمسلم أن يتعرف على هذا النوع من الشرك ليتجنبه ويحذره ويحذر منه

وجميع الصور والأمثلة الواقعية لهذا النوع من الشرك التي سيرد ذكرها:

مبنية على إعطاء الطاعة المطلقة لمخلوق غير الرسول صلى الله عليه وسلم واعتقاد طاعته في كل أمر أو قرار يأمر به ويقرره دون النظر إلى كونه موافقاً أو مخالفاً للكتاب والسنة وهذا ناشئ من إعطاء هذا المخلوق القداسة والتعظيم والولاء الذي لايكون إلا لله عز وجل وهذا النوع من الشرك هو الذي أخبر الله عز وجل عنه أهله بأنهم اتخذوا هؤلاء المطاعين في التحليل والتحريم أرباباً من دون الله وقد مر بنا حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه وأنه قال للرسول صلى الله عليه وسلم حين تلا عليه قوله تعالى (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ) إنا لم نعبدهم بمعنى نركع ونسجد لهم وأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بأن عبادة غير الله ليست في الركوع والسجود فحسب وإنما اتباع وطاعة غير الله تعالى وغير رسوله صلى الله عليه وسلم في التحليل والتحريم عبادة لهم .

وقبل ذكر بعض الأمثلة المعاصرة على شرك الطاعة والاتباع أعيد وأكرر التأكيد على أن الأمثلة التي سيرد ذكرها لا أعني بها الأعيان وإنما أعني بها الأفعال، أما المعين الذي يتلبس بفعل من هذه الأفعال فهو على خطر عظيم ولكن لا يحكم بكفره حتى تتحقق فيه شروط التكفير وتنتفي عنه موانعه لأن الفاعل قد يكون جاهلاً أو متأولاً أو مكرهاً.

المثال الأول : عندما يصدر طاغوت من الطواغيت الذين يرفضون شرع الله نظاماً أو قانونا يُعلم من الدين بالضرورة مخالفته لشرع الله عز وجل ليصبح نظاماً وشرعاً يلزم به الناس ثم يتلقفه الملأْ المقربون من الطاغوت بالقبول

والانقياد والإذعان ثم هم يمارسون بعد ذلك دور الطاغوت الكبير ويفرضونه على من تحتهم مع علمهم بمعارضته للشرع فإن هذا الفعل منهم يعد شركاً في الطاعة وهذا يكثر في وزراء الدول وحاشية الطاغوت ورؤساء الهيئات السياسية والاقتصادية وغيرها.

والطاغوت الكبير الذي شرع من دون الله تعالى قد يكون فرداً أو مجلساً برلمانياً أو مجلساً وطنياً أو غير ذلك ومثل هؤلاء الطواغيت المشرعين من دون الله قد وقعوا في شرك الربوبية لأنهم أشركوا أنفسهم مع الله تعالى في أفعال الرب سبحانه التي فيها الحكم والتشريع والله تعالى يقول : (وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا)[الكهف:26] ومن أطاعهم من المنفذين والمطبلين لهذه التشريعات والقوانين والأنظمة وهو يعلم ما فيها من تحليل الحرام وتحريم الحلال معتقداً ذلك فقد أشرك مع الله عز وجل في توحيد الألوهية والعبادة الذي هو شرك الطاعة والاتباع ثم يأتي الدور على الأفراد الذين يراد منهم الالتزام بهذه الأنظمة وطاعتها فإن قبلوها معتقدين مافيها من التحليل والتحريم المعلوم من الدين بالضرورة مخالفته لشرع الله عز وجل واعتقدوها ونفذوها طائعين مختارين عالمين فإنهم أيضاً قد وقعوا في شرك الطاعة كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى مستدلا بحديث عدي بن حاتم رضي الله عنه ومن نفذها عن شهوة وهوى معتقداً مخالفتها لشرع الله عز وجل شاعراً بذنبه في ذلك غير مستحل لها فهو عاص كغيره من أهل الذنوب والكبائر ومن نفذها معتقداً رفضها كارهاً لها لكنه كان مكرهاً على ذلك فهذا حاله حالة المكره على فعل المعصية فلا إثم عليه إذا توفرت فيه شروط الإكراه وضوابطه .

المثال الثاني :

وهو يكثر في الأجناد والعساكر التي ربيت وروضت على الطاعة العمياء للرؤساء والكبراء فتراه يعلم مخالفة ما يؤمر به لشريعة الاسلام ويعلم ما فيه من الظلم ولكنه قد ربى على العبودية والطاعة المطلقة والانقياد لرؤسائه دون مناقشة ولا رفض فمثل هذا ان كان قد استحل هذا الظلم الذي يؤمر به ويراه شرعاً لا يحل له مخالفته مع علمه بمخالفته للشرع فقد وقع في شرك الطاعة والعبودية لغير الله تعالى . وقد رأيت وسمعت من ذلك الشيء الكثير فمن ذلك ما يقوم به بعض ا لعساكر في السجون السياسية من ا لمعاملات الظالمة للمسجونين من دعاة وعلماء وتفننهم في أساليب التعذيب وعندما ذكروا بالله تعالى وأن هذا من الظلم الذي حرمه الله تعالى يجيب أحدهم بأنه عبد مأمور !! هكذا والله جوابه: إنه عبد مأمور وصدق إنه عبد لغير الله حيث اتخذه رباً من دون الله تعالى يحلل ما أحله ويحرم ما حرمه ، وهو بذلك قد وقع في شرك الطاعة له والاتباع 0 أما من اعتقد من هؤلاء حرمة ما يقوم به من الظلم

الذي أمره به رئيسه وشعر بالذنب ولكنه يبرر ذلك بالحاجة الى الوظيفة وطلب الرزق فمثل هذا على اثم عظيم لكنه ليس كسابقه المنشرح صدره لفعل الظلم والمتبع لرؤساءه في كل ما يقولون واعترافه بأنه عبد لهم 0كذلك لا يقع في هذا الشرك من نفذ هذا الظلم معتقداً صحة فعله بنظره إلى المسجونين بأنهم مجرمون وليسوا مظلومين وذلك حسب ما يصوره له رؤساؤه ولكن يبقى أنه على إثم عظيم 0ومثل ذلك ما يكون في المحاكم العسكرية من الحكم بالقوانين المعلوم من الدين مخالفتها لشرع الله عز وجل ، فالحاكم بها عن علم ورضا بها طاعة لمن سنها وشرعها مشرك بالله عز وجل في طاعته

يقول شيخ الاسلام رحمه الله تعالى عن هؤلاء الصنف من الناس ومن شاكلهم: (وكثير من المتفقهة وأجناد الملوك وأتباع القضاة والعامة المتبعة لهؤلاء يشركون شرك الطاعة فتجد أحد المنحرفين يجعل الواجب ما أوجبه متبوعه والحرام ما حرمه متبوعه والحلال ما حلله والدين ما شرعه إما ديناً وإما دنيا وإما ديناً ودنيا ثم يخوف من امتنع من هذا الشرك وهو لا يخاف أنه أشرك به شيئاً في طاعته بغير سلطان من الله)(1)

المثال الثالث :

من أطاع غير الله في ناقض من نواقض الإيمان المعلومة بالضرورة عالما مختاراً فهذا ضرب من ضروب شرك الطاعة والاتباع ولا يشترط هنا ما يشترط في سائر المعاصي التي دون الكفر من الاستحلال للفعل وانما بمجرد ان يطاع غير الله تعالى في فعل ناقض من نواقض الاسلام فقد وقع في شرك الطاعة المخرج من الملة وإن لم يكن مستحلاً لذلك ومثال ذلك من أطاع مخلوقاً في سب الدين او الاستهزاء بشريعة الاسلام أو مظاهرة الكفار على المسلمين أو الاعتراض على أحكام الله تعالى أو السجود والركوع والذبح لغير الله تعالى أو تكذيب خبر الله عز وجل أو خبر رسوله صلى الله عليه وسلم المعلوم من الدين بالضرورة وغير ذلك من النواقض.

المثال الرابع:

المحامون والقضاة في الدول التي ترفض شرع الله عز وجل وتحكم بدساتير وقوانين وأنظمة تستحل ما حرم الله أو تحرم ما أحل الله عز وجل فمن أطاع الطواغيت الذين سنوا هذه القوانين وحكم بها أو تحاكم إليها أو انطلق منها واعتمد عليها في المحامات والخصومات عالماً بمخالفتها لشرع الله عز وجل فقد وقع في شرك الطاعة المخرجة من الملة

المثال الخامس:

---

[1] مجموع الفتاوى 1/ 98

ما يكون في بعض المؤسسات والشركات والوزارات من أنظمة وبنود إدارية أو تجارية معلوم من الدين بالضرورة مصادمتها للشرع ثم تفرض على العاملين في هذه القطاعات ويتحاكم إليها فإن المنفذين لهذه الأنظمة العالمين بمخالفتها للشرع قد وقعوا في شرك الطاعة لرؤسائهم بسبب تقديسهم لهم وبما يصدر منهم من قرارات وأنظمة معلومة من الدين بالضرورة حرمتهاوكثيراً ما نسمع من المنفذين لهذه الأنظمة والقرارات قولهم عندما يبين لهم مخالفتها لشرع الله عز وجل بأن هذا هو النظام!! أتريدني أن أخالف النظام ؟؟ !! هذا ان كان المنفذ لهذه الأنظمة عالماً بمخالفتها للشرع راضياً بها مختاراً أما ان كان جاهلاً بحرمتها أو كان عالماً بها لكنه كارهاً لها معتقداً حرمتها لكنه نفذها إما طمعاً أو خوفاً مع شعوره بالذنب فمثل هذا كغيره من أهل المعاصي التي يطيع بعضهم بعضاً في فعلها عن شهوة لا عن رضى واستحلالاً لها .

المثالث السادس :

المتبعون المطيعون لشيوخهم من الصوفية –الغالية والمتكلمة الفلاسفة في معتقداتهم الباطلة وفي تشريعاتهم ما لم يأذن به الله تعالى من الشركيات والبدع المغلظة مع علمهم بمخالفتها للشريعة اعتقاداً بأحقية شيوخهم في التشريع والتحليل والتحريم النابع من حبهم وتقديسهم

يقول شيخ الإسلام: (وأما الشرك الثالث فكثير من أتباع المتكلمة والمتفلسفة بل وبعض المتفقهة والمتصوفة بل وبعض أتباع الملوك والقضاة يقبل قول متبوعه فيما يخبر به من الاعتقادات الخبرية من تصحيح بعض المقالات وإفساد بعضها ومدح بعضها وذم بعضها بلا سلطان من الله)[1]

المثال السابع :

بعض المتفقهة من أتباع المذاهب المتعصبين لأئمة المذهب بحيث يرون الطاعة المطلقة والتقليد الأعمى لهم وتقديم أقوالهم على صريح الكتاب والسنة فمثل هؤلاء إذا كانوا عالمين بمخالفة أقوال شيوخهم لصريح وصحيح الكتاب والسنة وأطاعوهم على ذلك فهذا ضرب من ضروب شرك الطاعة والاتباع أما ان كان المطيع والمتبع لشيوخ المذهب لا يعلم بمخالفة أقوال شيوخه للكتاب والسنة أو كان مجتهداً في الترجيح فأخذ بالمرجوح يحسبه الحق فلا يدخل هذا في الشرك بل يكون مخطئاً في اجتهاده مغفوراً له ان شاء الله تعالى

يقول شيخ الاسلام (فتجد احد المنحرفين يجعل الواجب ما أوجبه متبوعه والحرام ما حرمه والحلال ما أحله والدين

[1] مجموع الفتاوى 1/ 98

ماشرعه إما ديناً أو دنيا واما دينا ودنيا ثم يخوف من امتنع من هذا الشرك وهو لا يخاف أنه أشرك به شيئاً في طاعته بغير سلطان من الله)[1]

المثال الثامن:

المنادون بالقومية والوطنية الذين يتخذون ذلك ذريعة لإقامة وطن لا تحكم فيه شريعة الله وانما تحكم فيه العلمانية التي تقصي شريعة الله عن حياة الناس باسم اللحمة الوطنية والقومية فمثل هذا قد اتخذ وثن الوطنية ربا يعبدوه من دون الله وباسمه يشرع ما لم يأذن به الله وسواءً في ذلك من أقام هذه الراية أو من رضي بها وانقاد لها مع علمه بمخالفتها لشرع الله عز وجل فالأول وضع نفسه نداً لله تعالى يصدر باسم الوطنية والقومية تشريعات تحلل وتحرم بما لم يأذن به الله تعالى والآخر يتلقى منها يوالي ويعادي عليها ولا يتوجه بالولاء والطاعة والتلقي الى الله تعالى قال سبحانه: (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) الأنعام:14]

المثال التاسع :

المتبعون للغرب او الشرق الكافرين وتقديم أنظمته وقوانينه وتشريعاته على شريعة الله عز وجل والافتخار بذلك متهمين أهل الشريعة بالتخلف والرجعية فمثل هذا قد أتخذ الغرب ونظمه أرباباً من دون الله لأن الغرب في حسه أولى بالطاعة و الاتباع من شريعة الله عز وجل

المثال العاشر:

القبول بالعلمانية التي ترفض شرع الله عز وجل وتقبل الحكم والتشريع والطاعة والاتباع من طواغيت اخرى من دون الله وترفض قيام الحياة على الدين فمن قبلها وأطاعها أو دعا إليها فهو مشرك الشرك الأكبر شرك الطاعة والاتباع لأن العلمانية نظام طاغوتي جاهلي كافر يتنافى تماماً مع شهادة أن لا إله الا الله وان محمد رسول الله

المثال الحادي عشر:

المبالغة التي يقوم بها الإعلام الجاهلي وأبواقه في كيل المديح والولاء والتقديس للأصنام البشرية الحية التي تتحكم في زمام السلطة في أكثر من بلدان المسلمين والطاعة المطلقة لهم ورفع صورهم وتعظيمها وتقديس أقوالهم وقراراتهم دون أي اعتراض أو نقاش وتقديمها على شرع الله عز وجل والنظر الى من يخالفهم ويرفض أوامرهم المخالفة لشرع الله عز

[1] مجموع الفتاوى 1/ 97

وجل بأنهم مفسدون خارجون على ولي الأمر مزعزعون للأمن والاستقرار !! فكل من كان هذا شأنه من التقديس والتعظيم والتطبيل للطواغيت المشرعين مالم يأذن به الله المبدلين لدين الله قد وقعوا في شرك الطاعة الذي هو حقيقة عبادة هؤلاء الطواغيت واتخاذهم أرباباً من دون الله يتبعونهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله عالمين مختارين وإن مما يؤسف له أن نجد من بعض علماء السلطة ومرجئة العصر من يساهم في تكريس هذا الأمر من حيث لا يشعرون أو يشعرون وذلك بالمبالغة في ذكر حقوق ولي الأمر والطاعة المطلقة له وتقديس أوامره واستخدام فزاعة الخروج والخوارج على كل من اعترض على سياساته وأوامره المخالفة للشرع

المثال الثاني عشر :

أولئك الطواغيت الذين يشركون من دون الله ويحكمون في شعوبهم بغير ما انزل الله فهم بفعلهم هذا قد وقعوا في شركين عظيمين مخرجين من الملة

الأول: الشرك في توحيد الربوبية بجعلهم أنفسهم أنداداً لله في الحكم والتشريع والله عز وجل يقول(وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا)

الثاني : الشرك في توحيد الألوهية بكونهم أطاعوا واتبعوا طوغيت أكبر منهم من الشرق والغرب في ما يأمرونهم به من تبديل الدين وشرع ما لم يأذن به الله تعالى، فالطواغيت الصغار يمارسون الشرك في توحيد الربوبية على من تحتهم ويمارسون الشرك في توحيد الألوهية بوقوعهم في شرك الطاعة لمن من فوقهم من الطواغيت الكبار

المثال الثالث عشر :

وممن يخشى عليه من هذا النوع من الشرك أن يصيبه من غباره بعض المنتسبين إلى بعض الجماعات والأحزاب الإسلامية الذين سيطرت عليهم التربية الحزبية المقيتة والتعصب المشين لهذا الحزب أو ذاك والنظر إلى شيوخ الجماعة وقادتها وكأنهم معصومون لا تجوز مخالفة قراراتهم ولا أوامرهم مهما كانت مخالفة للشرع وهذا ثمرة التربية المرة التي تخرج في العادة إمعات وعبيد يقدسون الرجال وفرق بين التقديس والتقدير

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى(واما رأس الحزب فإنه رأس الطائفة التي تتحزب أي تصير حزباً فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون لهم مالهم وعليهم ما عليهم وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل والإعراض عن من لم يدخل في حزبهم

سواء كان على الحق أو الباطل فهذا من التفرق الذي ذمه الله ورسوله فإن الله ورسوله أمرا بالجماعة والأئتلاف ونهيا عن التفرقة والاختلاف وامرا بالتعاون على البر والتقوى ونهيا عن التعاون على الاثم والعدوان)[1]

مسألة في الأحاديث الواردة في طاعة السلاطين والجمع بينها وبيان مناطاتها ورد تلبيس الملبسين بها

ان مما يؤسف له أن ينبري بعض علماء السلاطين أو بعض المرجئة المعاصرين إلى التلبيس على الناس سواء قصدوا أم لم يقصدوا وذلك بذكر الأحاديث الواردة في طاعة الولاة دون النظر إلى مناطاتها ودون النظر إلى أحوال الولاة وصفاتهم والتعمد بانتقاء الأحاديث التي تأمر بالطاعة وإهمال الأحاديث التي فيها الإنكار على الولاة وعدم طاعتهم في معصية الله تعالى وعلى الصدع بكلمة الحق فحصل من جراء ذلك تقديس الحكام والغلو الشديد في طاعتهم وكأنهم أنبياء أوآلهة. وفي هذه الأجواء ينبت شرك الطاعة

وبياناً للحق أسوق أهم الروايات المختلفة الواردة في طاعة الحكام وكيف نجمع بينها وكيف يتم توجيهها.

الحديث الاول : عن حذيفة رضي الله عنه قال قلنا يارسول الله: إنا كنا بشر فجاء الله بخير فنحن فيه فهل من وراء هذا الخير شر، قال: نعم، قلت: هل وراء ذلك الشر خير، قال: نعم، قلت: فهل وراء ذلك الخير شر، قال: نعم، قلت: كيف؟ قال : (يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك، قال: تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع)[2]

الحديث الثاني : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من رآى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتته جاهلية)[3]

الحديث الثالث : عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (انه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون فمن كره فقد برئ ومن أنكر فقد سلم ولكن من رضى وتابع قالوا يارسول الله ألا نقاتلهم قال لا ماصلوا)[4]

الحديث الرابع: عن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ

---

[1] مجموع الفتاوى 11/ 92

[2] مسلم (1847) وقد ضعف النووي وغيره زيادة (وأن ضرب ظهرك وأخذ مالك)ومن صحح هذه الزيادة من أهل العلم وجهها بعضهم بقوله(وان ضرب ظهرك في حد أو أخذ مالك بحق) وبعضهم قال أنها في حال الحرب والجهاد

[3] مسلم (1849)

[4] مسلم (1854)

فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ)[1]

الحديث الخامس: عن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قال (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في المنشط والمكره وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم)[2] وفي رواية مسلم (وأن لا ننازع الأمر أهله قال إلا ان تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان)[3] ومن تلبيس بعض الملبسين في هذا الحديث أنهم يذكرون أول الحديث الذي يأمر بالسمع والطاعة في المنشط والمكره ويبتروا آخره الذي فيه (وأن نقول أو نقوم بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم)

الحديث السادس : عن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث جيشاً وأمر عليهم رجلا فأوقد نارا وقال ادخلوها فأرادوا أن يدخلوها وقال آخرون : إنما فررنا منها فذكروا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال للذين أرادوا أن يدخلوها (لو دخلوها لم يزالوا فيها إلى يوم القيامة) وقال للآخرين (لا طاعة في معصية إنما الطاعة في المعروف)[4]

الحديث السابع: عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (كيف بك يا أبا عبدالرحمن إذا كان عليك أمراء يطفئون السنة ويؤخرون الصلاة عن ميقاتها قال كيف تأمرني يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تسألني بن أم عبد كيف تفعل ؟ لا طاعة لمخلوق في معصية الله)[5]

الحديث الثامن : عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : يارسول الله أرأيت ان كان علينا أمراء لا يستنون بسنتك ولا يأخذون بأمرك فما تأمرني في أمرهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا طاعة لمن لم يطع الله عز وجل)[6]

- هذه أهم النصوص الواردة حسب علمي في المواقف من السلاطين حينما يعدلون وحينما يجورون وحينما يكفرون وإن من منهج أهل السنة والجماعة في الاستدلال أنهم يعظمون النصوص الشرعية ويجلونها ولا

---

[1] مسلم (50)
[2] البخاري (7199)،مسلم (1840) واللفظ لمسلم
[3] مسلم (1709)
[4] ألبخاري (7257)
[5] أحمد (3889) ، والطبراني في الكبير 74/3 وقال الألباني اسناده جيد على شرط مسلم
[6] أحمد (13225) وصححه الالباني في صحيح الجامع (7521)

يضربون بعضها ببعض بل يعملون النصوص كلها ويردون المتشابه إلى المحكم ويجمعون بينها ولا يعارضونها بهوى ولا عقل ولا ذوق ولا سياسة ويجتهدون في تحقيق وتنقيح المناط الذي وردت فيه النصوص ومن هذه النصوص تلك الأحاديث الصحيحة السابق ذكرها في الموقف من الولاة والسلاطين فلا يعطلون النصوص التي ورد فيها الصبر على جور الولاة بالنصوص التي ورد فيها الانكار عليهم ومجاهدتهم والخروج عليهم ولا ينزلون النصوص التي وردت في طاعة ولاة الأمر العادلين وأهل الجور منهم بالنصوص الواردة في الخروج على الولاة إذا ظهر الكفر البواح. وبالتأمل في النصوص الآنفة الذكر ترى تغير المواقف من الولاة حسب حالهم وأصنافهم ومدى قربهم وبعدهم من الدين فنرى الأمر بالصبر تارة وبالإنكار تارة وبالاعتزال تارة وبالاحتساب والمجاهدة تارة وباسقاط الشرعية والخروج على السلطان حين القدرة وظهور الكفر البواح تارة وعليه فإن من الخطأ البين إختصار واختزال أمر التعامل مع السلطان في حكم واحد وهو الصبر في جميع الأحوال حتى لوظهر الكفر البواح بتبديل الدين وموالاة الكفار وتنحية الشريعة وتمزيق البلاد وتعريض الأمة لخطر السقوط والانهيار. وقد تنوعت الأحاديث السابقة وتنوعت المواقف فيها حيث ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أوصافاً مختلفة لإنحرافات الحكام ودرجاتها وذكر في مقابل كل درجة من الانحراف نوعاً من التعامل فبينما يرد الأمر بالصبر في بعض الأحوال نجده في نفس الوقت يأمر بمعصيتهم وعدم طاعتهم إذا أمروا بمعصية ، وفي موطن آخر يأمر بتغيير المنكر وفي موطن آخر يأمر بمجاهدتهم و قتالهم والخروج عليهم عند القدرة، ولا تعارض بين كل هذه الأحاديث لأنها تتعلق بأحوال مختلفة. اذاً فمن الخطأ الشرعي والتاريخي تعميم حكم واحد أمام الدرجات والأحوال المختلفة للانحراف وبناء على هذه النظرة الخاطئة للنصوص ومناطاتها انحرفت المواقف من السلاطين في واقعنا المعاصر فأصبحنا نسمع من ينزل النصوص الواردة في وجوب طاعة ولي الأمر والصبر على ظلمه على طواغيت العصر الذين رفضوا شريعة الله عز وجل واستحلوا ما حرم الله وظاهروا أعداء الله وتسلطوا على مقاليد الحكم في بلدان المسلمين ومن هنا وجب على الدعاة الصادقين تصحيح المفاهيم الفقهيه الخاطئة كالقول بأن مذهب أهل السنة في انحراف الحكام هو الصبر بإطلاق أو الطاعة بإطلاق لأنهم بذلك يحرمون الأمة من محاسبة الحاكم والإنكار عليه بل والخروج عليه حينما يظهر الكفر البواح ووجود القدرة ولا يخفى ما في هذه المواقف والنظرات الخاطئة من خيانة للدين والأمة وذلك بوضعها في مأزق يصعب عليها الخروج منها حتى صارت كما نرى اليوم عرضة للتشتت

والضياع والذلة والمهانة بل عرضة لهدم أركان التوحيد وذلك بتهيئة الجو لشرك الطاعة والاتباع بالغلو في طاعة ولي الأمر وعدم التفريق بين ما مناطات النصوص الواردة في التعامل مع الولاة حسب بقائهم في دائرة الإسلام أوخروجهم منها بالكفر البواح كما جاء في الحديث

وبعد

فهذا ما يسره الله عز وجل من بيان هذا الشرك الخطير وبيان بعض صوره المعاصرة فإن أصبت في هذا البيان فمن الله عز وجل الهادي النصير وأحمده سبحانه على توفيقه، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان وأستغفر الله وأتوب إليه

والحمدلله رب العالمين